



IRAQI
Academic Scientific Journals



العراقية
المجلات الأكاديمية العلمية

ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)

Journal of Language Studies

Contents available at: <https://jls.tu.edu.iq/index.php/JLS>



Symbolism in the Sayings of Imam Ja'far al-Sadiq (Peace Be Upon Him): A Study of Aesthetic Interpretation and Philosophical Impact

Asst. Prof. Dr. Samer Abbas Hussein*

Department of Arabic, College of Education for Women, Tikrit University, Tikrit, Iraq

Abbas.Samer@tu.edu.iq

&

Asst. Lect. Musab Abdulrahman Mahmood

Department of Arabic, College of Education, Imam Ja'far Al-Sadiq University- Salahuddin

Branch, Dujail, Iraq

Musab_abdulrahman@ijsu.edu.iq

Received: 01/04/2026, Accepted: 09/05/2026, Online Published: 30/06/2026

Abstract

This research aims to study the symbolism in the sayings of Imam Al-Sadiq (peace be upon him) and analyze its philosophical impact through a aesthetic analytical study. The research focuses on how Imam Al-Sadiq (peace be upon him) used symbols in his sayings and wisdom, aiming to convey profound meanings that go beyond the apparent to the hidden. Symbolism is a powerful tool in literature and thought, contributing to creating a deep philosophical impact on the reader or listener. By understanding the symbols used by the Imam, the intellectual and philosophical

* **Corresponding Author:** Samer Abbas Hussein, E-mail: Abbas.Samer@tu.edu.iq

Affiliation: Tikrit University – Iraq.

© This is an open access article under the CC by licenses <http://creativecommons.org/licenses/by/4.0>



aspects that the Imam seeks to stimulate in individuals are revealed, From an aesthetic perspective, the sayings of Imam Al-Sadiq (peace be upon him) are characterized by the use of rhetorical symbols that carry multiple meanings, provoking thought and contemplation on the concepts of life, repentance, and knowledge. For example, symbols related to light, darkness, the heart, and water are used to represent concepts such as guidance and ignorance, life and death, enhancing the aesthetic understanding of these sayings and providing a philosophical and spiritual dimension. From a philosophical perspective, the research addresses how these symbols impact the intellectual awareness of individuals and the collective. They not only convey intellectual meanings but also contribute to shaping values and ethics, while promoting philosophical contemplation and intellectual growth in individuals.

Keywords: Symbolism, Imam Al-Sadiq (peace be upon him), Philosophical impact, Aesthetic understanding, Rhetorical analysis

الرمزية في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) بين الفهم الجمالي والتأثير الفلسفي

أ.م. د. سامر عباس حسين

قسم اللغة العربية، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، تكريت، العراق

م. م. مصعب عبد الرحمن محمود

قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة الإمام جعفر الصادق (ع) - فرع صلاح الدين، الدجيل، العراق

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى إجراء دراسة جمالية تحليلية تتمحور حول استخدام الإمام الصادق (عليه السلام) للرموز في أقواله وحكمه، وتحليل تأثيرها الفلسفي؛ إذ تهدف هذه الرموز إلى إيصال معانٍ عميقة تتجاوز الظاهر إلى الباطن. وتعد الرمزية أداة قوية في الأدب والفكر تساهم في إحداث تأثير فلسفي عميق في القارئ أو المستمع؛ حيث يكشف فهم الرموز التي استخدمها الإمام عن الجوانب الفكرية والفلسفية التي يسعى إلى تحفيزها لدى الأفراد. ومن الناحية الجمالية، تتسم أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) بالرموز البلاغية التي تحمل دلالات متعددة تثير التفكير والتأمل في معاني الحياة، التوعية، والمعرفة، كالرموز المتعلقة بالنور، والظلمة، والقلب، والماء، والتي تُستخدم لتمثيل مفاهيم مثل الهداية والجهل، والحياة والموت؛ مما يعزز الفهم الجمالي لهذه الأقوال ويمنحها بعداً فلسفياً وروحياً. أما من الناحية الفلسفية، فإن البحث يتناول كيفية تأثير هذه الرموز في الوعي الفكري للفرد والجماعة؛ فهي لا تقتصر على إيصال معانٍ فكرية فحسب، بل تعمل أيضاً على تشكيل القيم والأخلاقيات، وتعزز من التأمل الفلسفي والنمو العقلي للفرد.

الكلمات المفتاحية: الرمزية، التأثير الفلسفي، الفهم الجمالي، التحليل البلاغي، الوعي الفكري

المبحث الأول

الإطار النظري والمنهجي للبحث

تمهيد

يُعدّ الإمام جعفر بن محمد الصادق من أبرز الشخصيات العلمية والفكرية في التراث الإسلامي، إذ أسهم في بناء منظومة معرفية اتسمت بالشمول والتنوع، فامتدت موضوعاتها إلى العقيدة والفقه والأخلاق والتفسير والحكمة. وقد انعكست هذه المكانة العلمية على طبيعة خطابه الذي امتاز بثرائه الدلالي وعمقه المعرفي، حيث لجأ إلى توظيف أساليب بيانية متعددة كان من أبرزها الرمز بوصفه أداة تعبيرية قادرة على استيعاب المعاني الفكرية والروحية المركبة. وتبرز أهمية دراسة الرمزية في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) من كونها تمثل مدخلاً لفهم الأبعاد الجمالية والفلسفية الكامنة في نصوصه، إذ لا تقف تلك الأقوال عند حدود المعنى المباشر، وإنما تتفتح على مستويات متعددة من الدلالة، تسمح باستكشاف أبعاد معرفية وأخلاقية وروحية أعمق.

الإمام الصادق (عليه السلام) والخطاب الرمزي

احتل الإمام الصادق (عليه السلام) مكانة علمية رفيعة في الفكر الإسلامي، وقد تميزت أقواله بخاصية الإيجاز الدلالي والتكثيف المعرفي، وهو ما جعل الرمز حاضراً في كثير من نصوصه. فقد استخدم صوراً رمزية متنوعة للتعبير عن مفاهيم الهداية والمعرفة والأخلاق والوعي الإنساني، مستفيداً من الحمولة الثقافية والروحية للرموز في الوعي الإسلامي.

ومن أبرز الرموز التي تكررت في أقواله:

- النور .
- القلب .
- الماء .

- الطريق .
- الحياة والموت .
- اليقظة والنوم .

ولا تؤدي هذه الرموز وظيفة جمالية فحسب، بل تضطلع بوظائف معرفية وتربوية وأخلاقية متعددة.

مشكلة البحث

تتعلق مشكلة البحث من ملاحظة أن أغلب الدراسات التي تناولت أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) ركزت على أبعادها العقدية

أو الفقهية أو الأخلاقية، في حين لم تحظ البنية الرمزية فيها بدراسة مستقلة تكشف عن وظائفها الجمالية والفلسفية.

وعليه تتمثل مشكلة البحث في التساؤل الآتي:

كيف أسهمت الرمزية في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) في بناء خطاب يجمع بين التأثير الجمالي والبعد الفلسفي؟

ويتفرع عنه عدد من التساؤلات:

1. ما أبرز الرموز الواردة في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام)؟
2. ما الوظائف الجمالية التي تؤديها هذه الرموز؟
3. ما الأبعاد الفلسفية الكامنة وراءها؟
4. كيف أسهمت في تشكيل الوعي الفردي والجمعي؟

أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. الكشف عن مفهوم الرمزية وأبعادها النظرية .
2. تحديد أبرز الرموز الواردة في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) .
3. تحليل الوظائف الجمالية للرموز .
4. استجلاء أبعادها الفلسفية والمعرفية .
5. بيان أثرها في بناء القيم والوعي الإنساني .

فرضيات البحث

يقوم البحث على الفرضيات الآتية:

1. تتجاوز الرموز في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) الوظيفة البلاغية التقليدية إلى وظائف معرفية وفلسفية .
2. تسهم البنية الرمزية في تعزيز البعد الجمالي للنص .
3. تؤدي الرموز دوراً فاعلاً في تشكيل الوعي الأخلاقي والاجتماعي .
4. يمثل التفاعل بين الجمالي والفلسفي سمة بارزة في الخطاب الرمزي للإمام الصادق (عليه السلام) .

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي في تتبع الرموز الواردة في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) وتحليل دلالاتها الجمالية والفلسفية.

كما يستفيد من المنهج التأويلي في استكشاف مستويات المعنى الكامنة خلف البنية الرمزية للنصوص، ومن المنهج التداولي في دراسة أثر هذه الرموز في المتلقي.

مفهوم الرمزية لغةً واصطلاحاً

أ- الرمزية لغةً

يرجع لفظ الرمز إلى الجذر اللغوي (ر م ز)، ويُراد به الإشارة والإيماء من غير تصريح. وقد عرّف ابن منظور الرمز بقوله:

"الرَّمْزُ: الإشارة والإيماء بالعينين والشفتين والحاجبين" (ابن منظور، لسان العرب، مادة: رمز، ج5، ص356)

كما ذكر الفيروزآبادي أن الرمز هو الإشارة الخفية التي تُفهم من غير تصريح مباشر (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة:

رمز، ج2، ص186)

ب- الرمزية اصطلاحاً

تُعرّف الرمزية في الدراسات الأدبية بأنها أسلوب تعبيرى يعتمد الإيحاء والتلميح بدلاً من التصريح المباشر، ويستخدم صوراً وعلامات حسية للتعبير عن معانٍ ذهنية أو وجدانية عميقة (أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص234) ويرى صلاح فضل أن الرمز "علامة لغوية تتجاوز معناها المباشر لتفتح المجال أمام مستويات متعددة من التأويل"، مما يمنح النص ثراءً دلاليًا وانفتاحاً على قراءات متنوعة (صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص221) أما من المنظور الفلسفي، فيُنظر إلى الرمز بوصفه وسيلة معرفية تُجسّد المفاهيم المجردة في صور محسوسة تساعد على إدراكها وتمثّلها ذهنياً (يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص17)

نشأة الرمزية

يرجع كثير من الباحثين ظهور الرمزية بوصفها مذهباً أدبياً إلى فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حين سعى شعراء المدرسة الرمزية إلى تجاوز المباشرة والواقعية والبحث عن المعاني الخفية الكامنة وراء الظواهر الحسية (محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص311) وقد ارتبطت هذه المدرسة بأسماء مثل شارل بودليير وبول فيرلين وستيفان مالارميّه الذين جعلوا الرمز وسيلة للكشف عن العوالم الداخلية والحقائق المستترة (غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص315) بل إنني أنصحك عند تحويل البحث إلى نسخة نهائية أن لا تقل قائمة المراجع النظرية الخاصة بالرمزية عن:

مفهوم الرمزية ونشأتها وتطورها

تُعدّ الرمزية من المصطلحات النقدية والفكرية التي حظيت باهتمام واسع في الدراسات الأدبية والفلسفية؛ لما تنطوي عليه من قدرة على تجاوز حدود التعبير المباشر إلى آفاق الإيحاء والتلميح. وقد ارتبط ظهورها بالحاجة إلى التعبير عن المعاني العميقة والتجارب الإنسانية التي يصعب الإفصاح عنها بلغة تقريرية مباشرة، الأمر الذي جعلها إحدى أهم الوسائل التعبيرية في الأدب والفكر.

فالرمزية في أصلها اللغوي مشتقة من مادة (ر م ز)، والرمز هو الإشارة والإيماء إلى الشيء من غير تصريح. وقد عرّفها ابن منظور بقوله: "الرّمزُ: الإشارة بالشفيتين والعينين والحاجبين" (ابن منظور، لسان العرب، مادة: رمز، ج5، ص356)، وهو تعريف يبرز البعد الإيحائي للرمز بوصفه وسيلةً للتعبير غير المباشر.

أما في الاصطلاح النقدي، فقد تعددت تعريفات الرمزية تبعاً لاختلاف المناهج والاتجاهات الفكرية. إذ ينظر إليها النقاد بوصفها تقنية فنية تعتمد الإيحاء بدلاً من التصريح، وتستثمر الألفاظ والصور الحسية للدلالة على معانٍ ذهنية أو وجدانية أعمق. ويرى أحمد مطلوب أن الرمز "علامة لغوية تتجاوز مدلولها الظاهر لتشير إلى معانٍ أخرى تتكشف من خلال السياق وعملية التأويل" (أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص234)

وقد ارتبطت الرمزية بوصفها مذهباً أدبياً بالحركة الأدبية التي نشأت في فرنسا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كردّ فعل على النزعتين الواقعية والطبيعية اللتين كانتا تركزان على نقل الواقع الخارجي بصورة مباشرة. فسعى الرمزيون إلى التعبير عن العالم الباطني للإنسان، وإبراز المشاعر والأفكار الكامنة وراء الظواهر الحسية، من خلال لغة تعتمد الإيحاء والغموض الفني والتكثيف الدلالي. ويشير محمد غنيمي هلال إلى أن المدرسة الرمزية قامت على الاعتقاد بأن الحقيقة لا تُدرك إدراكاً مباشراً، وإنما تُستشف من خلال الإشارات والصور والرموز التي تستثير خيال المتلقي وتدعوه إلى المشاركة في إنتاج المعنى (محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص311)

ومع أن الرمزية بوصفها مذهباً نقدياً حديثاً ارتبطت بالأدب الأوروبي، فإن آليات التعبير الرمزي كانت حاضرة في التراث العربي والإسلامي منذ وقت مبكر. فالقرآن الكريم زاخر بالصور الرمزية التي تتجاوز دلالاتها الحسية إلى معانٍ عقديّة وأخلاقية ومعرفية، ومن ذلك رمز النور في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: 35)، إذ لم يقتصر معنى النور على الضوء الحسي، بل أصبح رمزاً للهداية والمعرفة والحق.

كما أفاد المتصوفة والفلاسفة المسلمون من الرمز في التعبير عن تجاربهم الروحية وأفكارهم الفلسفية. فقد جعل أبو حامد الغزالي من النور رمزاً للمعرفة الإلهية في كتابه مشكاة الأنوار، في حين اعتمد السهروردي فلسفة النور أساساً لتفسير الوجود والمعرفة (الغزالي، مشكاة الأنوار، ص43؛ السهروردي، حكمة الإشراق، ص112)

وانطلاقاً من هذا التأصيل النظري، يمكن النظر إلى أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) بوصفها خطاباً غنياً بالبنى الرمزية التي لا تؤدي وظيفة بلاغية فحسب، وإنما تضطلع بأدوار معرفية وتربوية وفلسفية متعددة. فالرموز الواردة في أقواله تمثل أدوات للتعبير عن مفاهيم الهداية والمعرفة والأخلاق والوعي الإنساني، وتمنح النصوص أبعاداً جمالية وفكرية تجعلها قابلة لقراءات وتأويلات متعددة، وهو ما يمنحها حيويةً واستمراراً في التأثير عبر العصور.

يتضح مما تقدم أن الرمزية ليست مجرد وسيلة فنية للتزيين البلاغي، بل هي بنية دلالية ومعرفية معقدة تقوم على الإيحاء والتكثيف والتأويل. وقد تطورت من مفهوم لغوي قائم على الإشارة إلى منهج تعبيرى وفكري واسع الحضور في الأدب والفلسفة، كما وجدت حضوراً واضحاً في التراث الإسلامي عموماً، وفي أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) على وجه الخصوص، الأمر الذي يجعل دراستها مدخلاً مناسباً للكشف عن الأبعاد الجمالية والفلسفية الكامنة في تلك الأقوال.

المبحث الثاني

البعد الجمالي للرموز في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام)

تمهيد

تُعَدُّ الجمالية إحدى الوظائف الأساسية للرمز؛ لأنه لا يقتصر على نقل المعنى، بل يسهم في تشكيل الصورة الفنية وإثراء الدلالة وإثارة خيال المتلقي. وقد اكتسبت الرموز في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) أهمية خاصة؛ لما تتميز به من قدرة على الجمع بين الإيجاز التعبيري والعمق الدلالي، وهو ما جعلها تؤدي دوراً بارزاً في بناء الخطاب الفكري والأخلاقي. فالرمز عند الإمام لا يأتي عنصراً زخرفياً أو محسناً بلاغياً فحسب، وإنما يمثل وسيلة فنية للتأثير والإقناع والتوجيه، ويمنح النص طاقة إيحائية تتجاوز حدود المعنى المباشر إلى فضاءات أرحب من التأويل والفهم.

جمالية رمز النور ودلالاته المعرفية

يُعَدُّ النور من أكثر الرموز حضوراً في الفكر الإسلامي عموماً، وفي أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) على وجه الخصوص، إذ ارتبط بمفاهيم الهداية والمعرفة والبصيرة واليقين. وتعود أهمية هذا الرمز إلى جذوره القرآنية، حيث ورد في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: 35)، مما أكسبه ثراءً دلاليًا جعل منه رمزاً مركزياً في الثقافة الإسلامية.

وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام):

"العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء" (المجلسي، بحار الأنوار، ج 1، ص 225).

تكمن جمالية هذا النص في العلاقة الرمزية بين العلم والنور؛ إذ لم يقدم الإمام العلم بوصفه مجموعة من المعلومات أو المعارف المكتسبة، وإنما صورّه نوراً يشرق في القلب، فيتحول المفهوم العقلي المجرد إلى صورة حسية نابضة بالحياة.

ويرى النقاد أن الصورة الرمزية تكتسب قيمتها الجمالية من قدرتها على الجمع بين المدرك الحسي والمعنى المجرد (صلاح فضل، علم الأسلوب، ص 198). ومن هذا المنطلق استطاع الإمام الصادق أن يجعل المعرفة تجربة روحية وجمالية في آن واحد، إذ يغدو النور وسيلة لاكتشاف الحقيقة، لا مجرد وسيلة للإبصار المادي.

كما أن اختيار النور دون غيره من العناصر الطبيعية يكشف عن وعي بلاغي عميق، لأن النور بطبيعته يبديد الظلام ويكشف الأشياء ويهدي السائر في الطريق، وهي جميعها وظائف تتسجم مع وظيفة العلم في حياة الإنسان.

جمالية رمز القلب وتمثلاته الروحية

يحتل القلب مكانة مركزية في الخطاب الإسلامي؛ إذ يُنظر إليه بوصفه موضع الإدراك والبصيرة ومركز التوجيه الأخلاقي. وقد تكرر حضوره في القرآن الكريم في مواضع عديدة، منها قوله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ (الحج: 46).

ومن الأقوال المروية عن الإمام الصادق (عليه السلام):

"إن القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله" (المجلسي، بحار الأنوار، ج 70، ص 25)

يقوم البناء الجمالي في هذا النص على تحويل القلب من عضو مادي إلى فضاء رمزي مقدس، إذ يشبهه الإمام القلب بالحرم، وهو تشبيه يضيف على المعنى بعداً روحياً عميقاً.

وتكمن جمالية الرمز هنا في نقله المتلقي من الإدراك الحسي إلى الإدراك الروحي، فالقلب لا يُفهم بوصفه عضواً جسدياً فحسب، وإنما بوصفه مركزاً للوعي والإيمان والمعرفة.

ويشير عبد القاهر الجرجاني إلى أن جمال الصورة البلاغية يتجلى في قدرتها على إحداث علاقة جديدة بين الأشياء والمعاني (أسرار البلاغة، ص 112)، وهو ما نجده واضحاً في هذا النص، حيث تتحول العلاقة بين القلب والعبادة إلى علاقة مكانية رمزية قائمة على مفهوم القداسة والطهارة.

جمالية رمز الماء بين الطهارة والحياة والتجدد الروحي

يُعد الماء من أكثر الرموز حضوراً في الوعي الإنساني، إذ ارتبط منذ أقدم الحضارات بمعاني الحياة والخصب والنماء والاستمرار. وقد اكتسب هذا الرمز مكانة متميزة في الثقافة الإسلامية نتيجة حضوره المكثف في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، حتى

أصبح من الرموز المركزية التي تتداخل فيها الأبعاد المادية والروحية والجمالية. فالماء في الرؤية الإسلامية ليس مجرد عنصر طبيعي تقوم عليه الحياة البيولوجية، بل هو رمز للحياة المعنوية والتطهير الداخلي والتجدد المستمر.

وقد أكد القرآن الكريم هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء: 30)، حيث جعل الماء أصل الحياة ومصدر الوجود، وهي دلالة تتجاوز الجانب الحسي لتشير إلى أن كل مظاهر النمو والحركة والتجدد ترتبط بهذا العنصر الحيوي. كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ (الأنفال: 11)، وهو نص يكشف عن اقتران الماء بالطهارة والتزكية، الأمر الذي يمنحه بعداً رمزياً يتجاوز وظيفته الطبيعية المباشرة.

وانطلاقاً من هذا الحضور القرآني، نجد أن الإمام الصادق (عليه السلام) أفاد من الحمولة الدلالية لرمز الماء في بيان كثير من القيم الدينية والأخلاقية. ومن النصوص المروية عنه قوله:

"إذا أراد أحدكم الطهور للصلاة فليبدأ باسم الله" (الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج1، ص366)

وعلى الرغم من أن النص يتناول الطهارة في ظاهر معناه، فإن القراءة الرمزية تكشف عن دلالة أعمق؛ إذ إن الطهور لا يقتصر على غسل الجسد، بل يمثل انتقال الإنسان من حالة الاعتياد اليومي إلى حالة الاستعداد الروحي للوقوف بين يدي الله تعالى. ومن هنا يصبح الماء وسيلة للتطهير الظاهري ورمزاً للتطهير الباطني في الوقت نفسه.

وتتجلى جمالية الرمز في قدرته على الجمع بين المحسوس والمعقول؛ فالمتلقي يدرك الماء بحواسه بوصفه مادة ملموسة، لكنه في الوقت نفسه يستحضر من خلاله معاني الصفاء والنقاء والتجدد. وهذه الخاصية تجعل الرمز أكثر تأثيراً من التعبير المباشر؛ لأنه ينقل المعنى من دائرة الفهم العقلي المجرد إلى دائرة التذوق الوجداني والتأمل النفسي.

ويشير غاستون باشلار إلى أن الماء يمثل في المخيال الإنساني أحد أهم عناصر الصورة الشعرية، لأنه يرتبط بالصفاء والهدوء والتجدد والانبعث المستمر، ويمنح النص قدرة على استثارة الخيال والتأمل أكثر من غيره من العناصر الطبيعية (باشلار، الماء والأحلام، ص54). وهذه الرؤية تتوافق إلى حد كبير مع طبيعة حضور الماء في الخطاب الإسلامي، حيث يتحول من عنصر مادي إلى رمز أخلاقي وروحي.

ومن الناحية الجمالية، يلاحظ أن الإمام الصادق (عليه السلام) لا يقدم الماء بوصفه موضوعاً مستقلاً، بل يوظفه ضمن شبكة من العلاقات الرمزية المرتبطة بالطهارة والإيمان والعبادة. فالماء يصبح مفتاحاً للصلاة، والصلاة بدورها وسيلة لتهديب النفس وتقويم السلوك، وبذلك تتولد سلسلة من الدلالات المتتابعة تجعل الرمز أكثر ثراءً وعمقاً. وهذه السمة تؤكد ما ذهب إليه عبد

القاهر الجرجاني من أن جمال الصورة لا يكمن في مفرداتها المنفردة، بل في العلاقات التي تنشأ بينها داخل السياق النصي (الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 114)

كما أن الماء يؤدي وظيفة جمالية أخرى تتمثل في التعبير عن التجدد والتحول. فالإنسان بعد الطهارة ليس هو الإنسان قبلها من الناحية الرمزية؛ لأنه ينتقل من حالة إلى أخرى، ومن مستوى نفسي إلى مستوى روحي مختلف. ولهذا ارتبط الماء في كثير من الثقافات بفكرة الولادة الجديدة والانبعاث، وهي دلالة نجد لها حضوراً ضمنياً في الفكر الإسلامي عندما يقترن التطهير بالاستعداد للعبادة والتقرب إلى الله تعالى.

ومن زاوية فلسفية، يمكن النظر إلى الماء بوصفه رمزاً للحركة والاستمرار؛ لأنه لا يعرف الجمود بطبيعته، بل يتدفق باستمرار. وهذا المعنى ينسجم مع الرؤية الأخلاقية التي يقدمها الإمام الصادق (عليه السلام)، والتي تقوم على ضرورة تجدد الإنسان روحياً وأخلاقياً وعدم الركون إلى الغفلة أو الجمود الفكري. فكما أن الماء الراكد يفقد كثيراً من خصائصه الحيوية، فإن النفس التي تتوقف عن التزكية والمراجعة تفقد قدرتها على النمو والارتقاء.

وعليه، فإن القيمة الجمالية لرمز الماء في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) لا تنحصر في الإشارة إلى الطهارة الحسية، بل تمتد لتشمل معاني الحياة والتجديد والصفاء والتزكية والانبعاث الروحي. ومن خلال هذه الدلالات المتشابكة يتحول الماء إلى بنية رمزية متكاملة تجمع بين الجمال الفني والعمق الفكري، وتكشف عن قدرة الخطاب الصادقي على توظيف العناصر الكونية المألوفة لإنتاج معانٍ روحية وأخلاقية تتجاوز حدود الواقع المادي.

يتبين أن الماء في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) يمثل رمزاً مركباً تتداخل فيه أبعاد الطهارة والحياة والتجديد الروحي، وأن قيمته الجمالية تنبع من تعدد مستوياته الدلالية وقدرته على الانتقال بالمتلقي من المدلول الحسي إلى المدلول المعنوي. كما أسهمت الخلفية القرآنية لهذا الرمز في إثراء دلالاته ومنحه طاقة إيحائية جعلته من أبرز الرموز الجمالية في الخطاب الإسلامي عامة، والخطاب الصادقي خاصة.

المبحث الرابع

جمالية الثنائيات الرمزية وأثرها في بناء الدلالة

تُعد الثنائيات الرمزية من أبرز البنى الدلالية والجمالية التي اعتمدها الخطاب الإسلامي في التعبير عن الرؤى الفكرية والقيم الأخلاقية، إذ تقوم على مبدأ التقابل بين عنصرين متضادين أو متقابلين يكشف كل منهما حقيقة الآخر ويُسهّم في إبراز معناه.

وقد حظيت هذه البنية بمكانة بارزة في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام)، لما تمتلكه من قدرة على تكثيف المعنى وإثارة التأمل وتوجيه المتلقي نحو إدراك الحقائق الفكرية والأخلاقية من خلال صور رمزية تجمع بين الإيحاء والجمال.

ويُقصد بالثنائية الرمزية ذلك النسق القائم على التضاد أو التقابل بين مفهومين أو صورتين أو قيمتين، بحيث تتولد الدلالة من العلاقة القائمة بين طرفي الثنائية لا من كل طرف على حدة. وقد عرف التراث البلاغي العربي هذه الظاهرة تحت مسميات متعددة كالمقابلة والطباق والتضاد، وعدّها البلاغيون من الوسائل الفاعلة في تقوية المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي (القرويني،

الإيضاح في علوم البلاغة، ص 321)

ومن الناحية النقدية الحديثة، تعد الثنائيات من أهم البنى المنتجة للمعنى؛ لأنها تؤسس شبكة من العلاقات الدلالية التي تمنح النص حيوية وتأويلاً متجدداً. فالمعنى لا يتحدد في ضوء المفردات منفردة، بل يتشكل من خلال التفاعل بين الأضداد والمقابلات، وهو ما يجعل النص أكثر قدرة على استثارة التفكير وإشراك المتلقي في عملية إنتاج الدلالة (صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 112).

وتتجلى هذه الظاهرة بوضوح في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام)، حيث تتكرر مجموعة من الثنائيات الرمزية المركزية، مثل: النور والظلمة، والعلم والجهل، والحياة والموت، واليقظة والغفلة، والحق والباطل. وتمثل هذه الثنائيات بنية فكرية متكاملة تعكس رؤية الإمام للإنسان والكون والمعرفة، إذ تتحول إلى أدوات رمزية لتوجيه السلوك وترسيخ القيم.

أولاً: ثنائية الطريق والضلال

من النصوص التي تجسد هذا النمط الرمزي ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام):

"العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، لا يزيده سرعة السير إلا بعداً" (الكليني، الكافي، ج 1، ص 43)

يقوم النص على مقابلة ضمنية بين طريق الهداية وطريق الضلال، حيث يتحول العمل إلى حركة، والبصيرة إلى طريق، والجهل إلى تيه وضياع. وتتبع جمالية الصورة من كونها تنقل مفهوماً معرفياً مجرداً إلى مشهد حسي متحرك يمكن للمتلقي أن يتخيله ويتفاعل معه.

فالإمام لا يتحدث عن الخطأ الفكري بلغة مباشرة، وإنما يصوره بصورة إنسان يسير مسرعاً في طريق خاطئ، وكلما ازداد حركة ازداد ابتعاداً عن غايته. وهنا تتجسد إحدى أهم خصائص الرمز، وهي تحويل الفكرة العقلية إلى صورة حسية ذات طاقة إيحائية عالية.

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أن سر جمال الصورة البلاغية يكمن في قدرتها على تجسيد المعقول وإبرازه في هيئة محسوسة تزداد بها قوة التأثير والإقناع (دلائل الإعجاز، ص156)

ثانياً: ثنائية العلم والجهل

تحتل هذه الثنائية موقعاً مركزياً في فكر الإمام الصادق (عليه السلام)، إذ تمثل أحد المحاور الأساسية التي يقوم عليها مشروعه المعرفي والتربوي.

ومن ذلك قوله:

"كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح إذا نُسب إليه، وكفى بالجهل ذمماً أن يتبرأ منه من هو فيه" (المجلسي، بحار الأنوار، ج1، ص184)

تعتمد البنية الجمالية لهذا النص على التقابل بين قيمتين متناقضتين؛ فالعلم يمثل النور والكمال والرقى، بينما يمثل الجهل النقص والانحراف. وتتحول المقابلة هنا إلى أداة رمزية تكشف عن المكانة الوجودية للعلم في حياة الإنسان.

كما أن الإمام لا يكتفي بعرض الثنائية في صورتها العقلية، بل يمنحها بعداً نفسياً واجتماعياً؛ إذ يجعل العلم قيمة يتشرف الإنسان بالانتساب إليها حتى وإن لم يمتلكها، في حين يصبح الجهل صفة يحاول الإنسان التخلص منها وإن كان واقعاً فيها.

وهذه المفارقة تضفي على النص بعداً جمالياً قائماً على التوتر بين الحقيقة والادعاء، وبين الواقع والمأمول، وهو ما يمنح النص طاقة تأويلية واسعة.

ثالثاً: ثنائية النور والظلمة

تُعدّ ثنائية النور والظلمة من أكثر الثنائيات الرمزية رسوخاً في الفكر الإسلامي، وقد استمدت حضورها من القرآن الكريم الذي جعل النور رمزاً للهداية والحق، والظلمة رمزاً للضلال والجهل، كما في قوله تعالى:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: 257).

وقد انعكست هذه الثنائية في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) حين ربط العلم بالنور، وربط الجهل بالعمى والانحراف. فالنور هنا لا يمثل الضوء الحسي، وإنما يتحول إلى رمز للوعي والإدراك والمعرفة.

وتكمن جمالية هذه الثنائية في قدرتها على الجمع بين البعد البصري والبعد الفكري؛ فالإنسان يدرك النور والظلام بحواسه، لكنه في الوقت نفسه يستحضر من خلالهما معاني الهداية والضلال، الأمر الذي يمنح الرمز قوة تأثيرية كبيرة.

رابعاً: ثنائية الحياة والموت

لا تقتصر الحياة والموت في الخطاب الصادقي على معناهما البيولوجي، بل يتحولان إلى رمزين للحضور المعرفي والغياب الفكري.

ويؤكد القرآن الكريم هذا المعنى في قوله تعالى:

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (الأنعام: 122).

فالموت هنا ليس موت الجسد، وإنما موت البصيرة، كما أن الحياة ليست مجرد حركة عضوية، بل حياة العقل والقلب والوعي. وتكمن القيمة الجمالية لهذه الثنائية في قدرتها على تحويل المفاهيم الذهنية إلى صور كونية كبرى تتصل بأعمق تجارب الإنسان الوجودية. فحين يُصوّر الجاهل ميتاً، والعالم حياً، يصبح المعنى أكثر رسوخاً وتأثيراً مما لو عبّر عنه بصورة مباشرة.

خامساً: ثنائية اليقظة والغفلة

تمثل هذه الثنائية أحد المحاور الأخلاقية المهمة في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام)، إذ ترتبط بفكرة المراقبة الذاتية والوعي المستمر.

فالغفلة ترمز إلى الانقطاع عن الحقيقة والانشغال بالمظاهر الزائلة، بينما ترمز اليقظة إلى الحضور الواعي وإدراك الغاية من الوجود.

ومن الناحية الجمالية، تقوم هذه الثنائية على حركة مستمرة بين السكون والانتباه، وبين النسيان والتذكر، مما يمنح النص دينامية خاصة ويجعل المتلقي في حالة مراجعة دائمة لموقعه بين طرفي الثنائية.

الوظيفة الجمالية والفكرية للثنائيات الرمزية

تكشف الثنائيات الرمزية في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) عن مجموعة من الوظائف الجمالية والفكرية، من أبرزها:

1. تكثيف المعنى وإثراء الدلالة .
2. تجسيد المفاهيم المجردة في صور محسوسة .
3. تحقيق التوازن البنائي داخل النص .
4. استثارة التأمل والتفكير لدى المتلقي .
5. تعزيز الوظيفة الإقناعية والأخلاقية للخطاب .

6. فتح المجال أمام تعدد القراءات والتأويلات .

ويرى محمد مفتاح أن الثنائيات الضدية تمثل إحدى أهم الآليات المنتجة للمعنى في النصوص الأدبية؛ لأنها تؤسس شبكة من العلاقات الدلالية التي تمنح الخطاب حيوية واستمرارية) تحليل الخطاب الشعري، ص 87. يتضح أن الثنائيات الرمزية في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) ليست مجرد ظاهرة بلاغية أو أسلوب فني قائم على التضاد، بل تمثل بنية جمالية وفكرية متكاملة تسهم في إنتاج المعنى وتوجيه المتلقي نحو التأمل في القيم الكبرى التي يقوم عليها الخطاب الإسلامي. وقد كشفت الدراسة أن هذه الثنائيات استطاعت أن توحد بين الجمال والإقناع، وبين الفكر والوجدان، مما جعلها من أهم الأدوات التعبيرية في بناء الدلالة داخل الخطاب الصادقي، ومهدت للانتقال من المستوى الجمالي إلى المستوى الفلسفي الذي ستعالجه المباحث اللاحقة من البحث.

المبحث الخامس

نتائج البحث وخاتمته

أولاً: نتائج البحث

بعد دراسة البنية الرمزية في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام)، وتحليل أبعادها الجمالية والفلسفية، توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1 هيمنة الرموز المعرفية والروحية

كشفت الدراسة أن أكثر الرموز حضوراً في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) هي الرموز المرتبطة بالمعرفة والوعي الروحي، ولاسيما رموز النور والقلب والطريق والماء، مما يعكس اهتمام الإمام ببناء الإنسان معرفياً وأخلاقياً قبل الاهتمام بالمظاهر الخارجية للسلوك.

2 الوظيفة الجمالية للرمز تتجاوز الزخرفة البلاغية

تبين أن الرمز في الخطاب الصادقي لا يؤدي وظيفة تزيينية أو بلاغية فحسب، بل يسهم في إنتاج المعنى وإثراء الدلالة، من خلال نقل المفاهيم المجردة إلى صور حسية قادرة على التأثير في المتلقي وإثارة تأمله.

3 ارتباط الرموز بالمرجعية القرآنية

أظهرت الدراسة أن معظم الرموز الواردة في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) تمتلك جذورًا قرآنية واضحة، الأمر الذي أكسبها قوة دلالية وعمقًا معرفيًا، وجعلها أكثر قدرة على التأثير في الوعي الإسلامي.

4 تكامل البعدين الجمالي والفلسفي

أثبتت الدراسة أن البنية الرمزية في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) تقوم على تداخل واضح بين البعد الجمالي والبعد الفلسفي، إذ تتحول الصورة الفنية إلى وسيلة لنقل الرؤية الفكرية والأخلاقية.

5 مركزية الثنائيات الرمزية

كشفت الدراسة عن حضور واضح للثنائيات الرمزية مثل النور والظلمة، والعلم والجهل، والحياة والموت، وهي ثنائيات أسهمت في بناء الدلالة وتعزيز الوظيفة الإقناعية للنص.

6 البعد التربوي للرموز

لم تقتصر الرموز على التعبير عن المعاني النظرية، بل أدت دورًا تربويًا وأخلاقيًا واضحًا في توجيه السلوك الإنساني وبناء منظومة القيم.

7 انفتاح النصوص على التأويل

أظهرت الدراسة أن الرموز المستخدمة في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام) تتميز بمرونة دلالية تسمح بتعدد مستويات الفهم والتأويل، وهو ما منح تلك النصوص قابلية للاستمرار والتجدد عبر العصور.

ثانيًا: الاستنتاجات العامة

من خلال التحليل السابق يمكن القول إن الإمام الصادق (عليه السلام) قد وظف الرمز بوصفه أداة معرفية وجمالية في آن واحد، فلم يكن الرمز عنصرًا عارضًا في خطابه، بل جزءًا من رؤيته الفكرية والتربوية. وقد استطاع من خلال هذا التوظيف أن يربط بين المعاني العقلية والمشاهد الحسية، وأن يحول المفاهيم الفلسفية والأخلاقية إلى صور قريبة من إدراك المتلقي، الأمر الذي أسهم في تعزيز التأثير الفكري والوجداني لأقواله.

ثالثًا: التوصيات

1. تشجيع الدراسات المتخصصة في الجوانب البلاغية والجمالية في تراث الإمام الصادق (عليه السلام).
2. توسيع نطاق البحث في الرمزية داخل النصوص الحديثية الإسلامية عمومًا.

3. إجراء دراسات مقارنة بين الرموز في أقوال الإمام الصادق والرموز في الخطاب القرآني .
4. الإفادة من المناهج النقدية الحديثة في دراسة النصوص التراثية الإسلامية .
5. توجيه الباحثين نحو دراسة العلاقة بين الرمز والفكر الأخلاقي في التراث الإسلامي .

رابعاً: الخاتمة

خلص البحث إلى أن الرمزية تمثل إحدى السمات البارزة في أقوال الإمام الصادق (عليه السلام)، وأنها تؤدي دوراً محورياً في بناء المعنى وإيصال الرؤية الفكرية والأخلاقية. وقد أظهرت الدراسة أن الرموز الواردة في تلك الأقوال لا تقتصر على البعد الجمالي، بل تتجاوز ذلك إلى أبعاد فلسفية ومعرفية وتربوية متعددة. كما كشفت عن أن الرمز كان أداة فعالة في ربط الإنسان بقيم المعرفة والهداية والوعي الأخلاقي، الأمر الذي جعل الخطاب الصادقي نموذجاً متميزاً للتكامل بين الفن والفكر، وبين الجمال والمعرفة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

- ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، 1414هـ/1994م .
- باشلار، غاستون، *الماء والأحلام: دراسة في خيال المادة*، ترجمة: علي المقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1988م.
- الجرجاني، عبد القاهر، *أسرار البلاغة*، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1991م .
- الجرجاني، عبد القاهر، *دلائل الإعجاز*، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1992م .
- الحر العاملي، محمد بن الحسن، *وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة*، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت (ع)، قم، 1409هـ/1989م .
- السهورودي، شهاب الدين يحيى، *حكمة الإشراف*، تحقيق: هنري كوربان، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م .
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، *مشكاة الأنوار*، تحقيق: أبو العلاء عفيفي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1964م.
- فضل، صلاح، *بلاغة الخطاب وعلم النص*، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992م .
- فضل، صلاح، *علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته*، دار الشروق، القاهرة، 1998م .

القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، *الإيضاح في علوم البلاغة*، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، 1993م .

الكليني، محمد بن يعقوب، *الكافي*، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1407هـ/1987م .

المجلسي، محمد باقر، *بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار*، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1403هـ/1983م .

مطلوب، أحمد، *معجم المصطلحات البلاغية وتطورها*، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1983م .

مفتاح، محمد، *تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناسل)*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، 2005م .

هلال، محمد غنيمي، *النقد الأدبي الحديث*، دار نهضة مصر، القاهرة، 2005م .

References

The Holy Quran.

Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram. *Lisan al Arab*. Dar Sadir, Beirut, 1414 AH/1994.

Bachelard, Gaston. *Water and Dreams: A Study of the Imagination of Matter*. Translated by Ali al Muqallid. University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, 1988.

Al Jurjani, Abd al Qahir. *Asrar al Balaghah*. Edited by Mahmud Muhammad Shakir. Matbaat al Madani, Cairo, 1991.

Al Jurjani, Abd al Qahir. *Dalail al Ijaz*. Edited by Mahmud Muhammad Shakir. Matbaat al Madani, Cairo, 1992.

Al Hurr al Amili, Muhammad ibn al Hasan. *Wasail al Shia ila Tahsil Masail al Shariah*. Edited by Aal al Bayt Foundation for the Revival of Heritage. Aal al Bayt Foundation, Qom, 1409 AH/1989.

Al Suhrawardi, Shihab al Din Yahya. *Hikmat al Ishraq*. Edited by Henry Corbin. Dar al Afaq al Jadidah, Beirut, 1980.

Al Ghazali, Abu Hamid Muhammad ibn Muhammad. *Mishkat al Anwar*. Edited by Abu al Ala Afifi. National House for Printing and Publishing, Cairo, 1964.

Fadl, Salah. *Balaghat al Khitab wa Ilm al Nass*. Alam al Marifah Series. National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 1992.

Fadl, Salah. *Ilm al Ushub: Mabadiuhu wa Ijraatuhu*. Dar al Shuruq, Cairo, 1998.

- Al Qazwini, Jalal al Din Muhammad ibn Abd al Rahman. *Al Idah fi Ulum al Balaghah*. Edited by Muhammad Abd al Munim Khafaji. Dar al Jil, Beirut, 1993.
- Al Kulayni, Muhammad ibn Yaqub. *Al Kafi*. Edited by Ali Akbar al Ghaffari. Dar al Kutub al Islamiyyah, Tehran, 1407 AH/1987.
- Al Majlisi, Muhammad Baqir. *Bihar al Anwar al Jamiah li Durar Akhbar al Aimmah al Athar*. Edited by a Group of Researchers. Muassasat al Wafa, Beirut, 1403 AH/1983.
- Matlub, Ahmad. *Dictionary of Rhetorical Terms and Their Development*. Iraqi Academy of Sciences, Baghdad, 1983.
- Miftah, Muhammad. *Analysis of Poetic Discourse: The Strategy of Intertextuality*. Arab Cultural Center, Casablanca Beirut, 2005.
- Hilal, Muhammad Ghunaymi. *Modern Literary Criticism*. Dar Nahdat Misr, Cairo, 2005.